## تطور النثر وفنونه

شهد النثر تطوراً كبيراً في العصر العباسي بفضل ما تحولت إليه من الثقافات اليونانية والفارسية والهندية وكل معارف الشعوب التي أظلتها الدولة العباسية ، وقد تم هذا التحول عن طريقين : أحدهما طريق النقل والترجمة ، وطريق ثانٍ هو دخول شعوب الشرق الاوسط وانتقالهم إلى المجتمع العربي بكل ما ورثوه من العلوم وفنون المعرفة ، كذلك نقلوا عاداتهم وتقاليدهم وطرائقهم في المعيشة . مما هيَّأ لظهور المدنية العربية التي قوامها مزيج من التعاليم الاسلامية الروحية والخلقية ومن الأدب العربي شعره ونثره ومن صور الحياة العقلية والمادية. وعظم شأن الكتابة وزادَ الاقبال عليها بعد أن انفتح أمامها مجالات واسعة، واصبحَ للكتَّاب مقام محمودٌ لدى الخلفاء والوزراء والولاة.

كان الكتَّابُ في العصر العباسي مثقفين ثقافةً عالية ومزودين بصنوف المعرفة، اذ كانوا يحفظون القران وشيئاً كثيرا من الحديث النبوي وكلام البلَغاءِ وخطب الصحابة والخلفاء ووصاياهم وقصائدَ كبار الشعراء إضافةً الى تزودهم بثروةٍ لغويةٍ ووقوفهم على علوم الامم الاخرى مباشرةً أو بعد ترجمتها الى اللغة العربية. بذلك أخذ النثر العربي يتطور تطوراً واسعاً إذ يحمل في مضمونه خلاصة المدنية التي كانت إيذاناً بتعدد شعب النثر العربي وفروعه وألوانه كالنثر العلمي والنثر الفلسفي والنثر التاريخي وحتى النثر الادبي الخالص أخذ يتأثر باللغات الاجنبية خاصة اللغة الفارسية فكان لكل ذلك الأثر العميق في الرسائل الديوانية وفي نشوء الرسائل الأدبية التي تعنى بكتابة موضوعٍ محدد مما نسميه اليوم بالمقالات. وتتمثل فنون النثر العربي في العصر العباسي في التفاويض والتقاليد والمبايعات والعهود والعقود والتهاني والتعازي الى جانب التواقيع والخطب والوعظ والقصص والمناظرات والرسائل الديوانية والوصايا والرسائل الادبية و الإخوانية كالشفاعة، والعتاب ، والشكوى ، والاعتذار. وكل هذه الفنون اضطلع بها النثرُ في العصر العباسي ؛ لأنَّ النثرَ في هذا العصر تسابق مع الشعر في هذا المضمار وذلك لسببين:

أولهما: ظهور طبقة ممتازة من الكتاب الذين برعوا براعة تامة في النثر

وثانيهما: مرونة النثرِ ويُسرِ تعابيرهِ وقدرتهِ على تصويرِ المعاني بجميعِ فروعها وهذه القدرة لا تتاح للشعر لارتباطهِ بقواعد موسيقية من الوزنِ والقافية.

وقد سلك الكتّاب آنذاك اسلوبين في كتاباتهم، الاول الاسلوب السهل المرسل العذب مع اختصار الالفاظ بقدر ما يتطلبه المعنى من الوضوح والجلاء، ورائد هذا الأسلوب ابن المقفع الذي أوصى أحدَ الكتّابِ بقوله: "إيَّاكَ والتتبُّع لحوشيّ الكلام طمعاً في نيل البلاغة. فإنَّ ذلك هو العيُّ الأكبر".

أما الاسلوب الثاني فهو اسلوب التأنق واستيفاء المعنى باستقصاء اجزائه، وتقطيع الكلام الى فِقَر مرسلة ومسجعة، والاستطراد الى الاخبار والنوادر والتراجم والاكثار من الشواهد الشعرية ومأثور الكلام.

## الفنون النثرية

**1. الرسائل:**

تطورت الفنون النثرية في العصرالعباسي تطوراً ملحوظاً بعد الانفتاح الكبير على أممٍ أخرى وتمازج الثقافات، وكانت الرسائل بأشكالها المختلفة في مقدمة هذه الفنون ازدهاراً واتساعاً، ويمكن تقسيم الرسائل الى ثلاثة انواع:

الاول: الرسائل الديوانية أو المكاتبات الرسمية، وغالباً تكتب عن الخلفاء والوزراء والولاة والقواد. وكانت الرسائل إما طويلة تميل الى الشرح والتفصيل، أو موجزة كالتي كتبها طاهر بن الحسين الى الخليفة المأمون بعد مقتل علي بن عيسى بن ماهان: "كتابي الى أمير المؤمنين. ورأسُ علي بن عيسى بن ماهان بين يدي. وخاتمهُ في يدي. وعسكره مُصرَفٌ تحتَ أمري. والسلام"

الثاني: الرسائل الإخوانية: الرسائل الإخوانية هي تلك الرسائل التي تصور عواطف الفرد ومشاعره من رغبةٍ ورهبةٍ ومن مديحٍ وهجاءٍ ومن عتاب واعتذارٍ واستعطاف وتهنئةٍ ورثاءٍ وتعزية ، يتبادلها الاصدقاء فيما بينهم في مناسباتٍ شتّى في مناسباتٍ شتّى، وكانوا يتأنقون في صياغتها ويسندونها بآيات قرآنية وأحاديث نبوية وأقوال الصحابة والاشعار والامثال والحِكَم. ومن الرسائل الإخوانيةِ رسالة إبراهيم بن يحيى الأسلمي في تعزيةِ المهدي حين ماتت ابنته: "أما بعد فإن أحقَّ من عرف حق الله عليه فيما أخذَ منه مَنْ عظَّمَ حق الله عليه فيما أبقى له. واعلم أن الماضي قبلك هو الباقي لك ، وأن الباقي بعدك هو المأجور فيك ، وإنَّ أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يُعافَون منه".

الثالث: الرسائل الأدبية: هي الرسائل التي تتناول خصائل النفس البشرية وتصوّر أهواءها وأخلاقها وتوضِّح لها طريقها الى الخير ، ومن ذلك رسالة غسّان بن عبدالحميد في العتاب: "أما بعد فإن الله جعل العبادَ أطواراً في أخلاقهم كما جعلهم أطواراً في صورهم وجعل بينهم أموراً يتآلفون عليها: من حُرَمٍ يتجاملون بها، وحقوقٍ يتنازعونها، ومودةٍ يتعاطونها، وأخوّةٍ يتداولونها تُرعى بوفاءٍ وتؤدّى بأمانة".